سلسلة الرسائل (١٥)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٣هـ

شهر رمضان

للشيخة أمّ عبد الله بنت الشيخ

مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد.

فمن حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن جعل الشهور والأزمان تتفاوت في الفضل والمزية، ونحن في شهر شعبان، وهذا الشهر له فضائل ينبغي أن تعلم وتنشر للمسابقة للفضائل.

والشهر لا يُنالُ فضائله إلا بالعمل بما يدلُّ عليه من الفضل، وإلا كان كسائر الشهور.

لقد كان النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يكثر الصيام في شعبان، وهذا يدل على فضل هذا الشهر، تقول عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ.** رواه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **«أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا إِلَّا شَعْبَانَ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ»** رواه أبو داود (٢٣٣٦).

ومعنى «يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ»: أي: يصوم معظمه، كما يدل عليه قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ»، ولأن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ» رواه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلا يجوز لأحد أن يتقدم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا من كان معتادًا لصوم فليصمه، مثلًا: من يصوم الاثنين والخميس فوافق التاسع والعشرون يوم الاثنين فليصمه، أو وافق يوم الثلاثين الخميس فليصمه، وكذلك من كان يصوم يومًا ويفطر يومًا فوافق صومه اليوم التاسع والعشرين أو الثلاثين فليصمه.

وهكذا من كان عليها قضاء رمضان وعاجلها الوقت فإنها تصوم ولو وصلت صيام القضاء برمضان.

صيام ما تيسر من شعبان فيه التأسي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو كالراتبة القبلية للصلوات المفروضة، كما أن صيام ست من شوال بعد رمضان كالراتبة البعدية بعد الصلاة المفروضة، ففيها فضيلة، ومعلوم ما في الرواتب القبلية والبعدية من الأجر، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ» رواه مسلم (٧٢٨) عن أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وصوم النفل يتمم النقص الذي يكون في الفريضة.

شهر شعبان ترفع فيه الأعمال إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ

النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» رواه النسائي في «سننه» (٢٣٥٧)، وأحمد (٣٦/ ٨٥)، وحسَّنه الألباني في «تمام المنة» (٤١٢).

فأعمال العام ترفع إلى الله عَزَّوَجَلَّ في شعبان، كما تُرفع أعمال الأسبوع على الله عَزَّوَجَلَّ يوم الاثنين والخميس، فقد قال النّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا، أَوِ ارْكُوا، هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا» رواه مسلم (٢٥٦٥).

قال ابن الملقن في «شرح صحيح البخاري»(تحت رقم ١٣٨٧): كان يصوم الاثنين والخميس؛ لأنهما يوما رفع الأعمال ومحطِّ الأثقال. اهـ.

فمن كان في قلبها شحناء وبغضاء وعداوة، فعليها أن تحرص على إزالته، وأن يكون قلبها صافيًا نقيًّا؛ حتى تكون ممن تغفَر ذنوبه ويُتجاوز عنه. وما بلغ من بلغ في المنزلة والفضل إلا بسبب سلامة صدورهم، فما بلغوا ما بلغوا بصيام ولا صلاة ولا صدقة ولا استغفار...، ولكن بسلامة قلوبهم، وقد سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ: لماذا يا شيخ أحبك الناس القريب والبعيد؟ فتهرب الشيخ من الإجابة، فأُلِحَّ إليه، فقال: لا أعلم شيئًا غير أني لا أحمل في قلبي شيئًا (١).

فما أحوجنا إلى أن تكون سرائرنا طيبة نقية!

(١) ينظر: كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام عبدالعزيز بن باز» (٢٨٢) لعبدالرحمن بن يوسف الرحمة.

والصيام في شعبان هذا كالتوطئة للنفس، أن تتمرن على عبادة الصيام قبل شهر رمضان.

أما الاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيصها بالعبادة فهذا من البدع. وأما حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ**» رواه ابن ماجه (١٣٩٠)، فهذا مختلف فيه بين أهل العلم، وأكثر أهل العلم على تضعيفه، كما في «لطائف المعارف» لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ. ولو ثبت لما دل على تخصيص ليلة النصف بالعبادة.

شهر شعبان ينبغي أن نُهَيِّئَ أمورنا فيه؛ ليتمَّ لنا التفرغ إن شاء الله في شهر رمضان للعبادة وذكر الله وقراءة القرآن، فما كان من أشياء يُستطاع أن تقدم من الأعمال فينبغي تقديمها، مثل شراء ملابس العيد، والأشياء اللازمة.

أيها الأخوات إن شهر شعبان يبشِّرنا بقدوم رمضان، فلنقرَّ عينًا به ولنسر به، فقد قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

شهر رمضان اختصه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بفضائل وبركات وخيرات؛ ليتنافس فيه المتنافسون، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦].

شهر رمضان شهر القرآن، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. الله سبحانه أنزل القرآن الكريم في شهر رمضان، وهذا يفيد اختصاص رمضان بهذه المزية، ويفيد الاهتمام بقراءة

القرآن في رمضان، فينبغي الاهتمام بقراءة القرآن، وأن يمر المسلم والمسلمة على القرآن كله في شهر رمضان، مع الحرص على التدبر والانتفاع بمواعظ القرآن وآدابه.

شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتصفد فيه الشياطين، كما روى البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم واللفظ له (١٠٧٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**».

والمراد بـ«**وَصُفِّدَتِ**» أي: ربطت بالسلاسل، و«**الشَّيَاطِينُ**» هي: المردة. فلا يعارض هذا وجود المعاصي، فقد يَرِدُ سؤال أن الشياطين مصفَّدة ويوجد معاصي، وشحناء، ونحوه، فالمراد بـ«**الشياطين**»: المردة.

شهر رمضان شهر المغفرة والتوبة، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

«**إِيمَانًا**» بفرضيته، «**وَاحْتِسَابًا**» للأجر والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ.

ويقول النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**» رواه مسلم (٢٣٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى البخاري في «الأدب المفرد»(٦٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ**»، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ: «**قَالَ لِي جِبْرِيلُ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ. ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ**

أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ. ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ».

«رَقَى الْمِنْبَرَ» أي: صعد.

«مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟» هذا من حرص الصحابة على العلم والخير، يستفسرون من النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لماذا قال: آمين؟

«آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ» وهذا دعاء على من حرم الخير، وحرم أجر هذه الأعمال الصالحة، وهي: بر الوالدين، ورمضان، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذِكْرِهِ.

فمن حُرم بر الوالدين، وخاصة عند كبرهما، فإنهما عند كبرهما يحتاجان إلى الولد، الوالدان اللذان كانا السبب في وجودكِ، وتعبا وسهرا وتحمَّلا المشاق من أجلكِ.

وهكذا من أدركه رمضان فلم يغفر له؛ لأن شهر رمضان شهر المغفرة والتوبة، فمن لم يُغفر له في رمضان يخشى أن يُحرَم الخير في بقية العام؛ لأن شهر رمضان شهر الربح والتجارة، وشهر الخير والقُرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن لم يقرب من الله في شهر رمضان أنَّى له الخير، نعوذ بالله من الحرمان.

وهكذا الصلاة على النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ينبغي الحرص على الصلاة على النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إذا مرت بنا في الكتابة أو القراءة أو سمعنا الصلاة على النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ينبغي أن نحرص على الصلاة عليه، ولا نسأم ولا نستثقل ذلك، فهذا فيه خير عظيم، وتركه حرمان.

ومعنى «رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ» أي: التصق أنفه بالتراب، وصار ذليلًا.

إذن أخواتي شهر رمضان ينبغي أن نحرص على التوبة فيه، واجتناب الذنوب، فهو شهر التوبة والمغفرة.

شهر يُعتق الله فيه كثيرًا ممن كان قد وجبت له النار، فشهر رمضان شهر العتق من النيران، كما ثبت عند الإمام أحمد (٥٣٨/٣٦) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ»، وهو في «الصحيح المسند» (٤٩٤) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولكن علينا أن نحرص على أسباب العتق من النار، ليس فقط أن نعرف الحديث ونستبشر بذلك، بل لابد أن نحرص على أسباب العتق من النار، كقراءة القرآن، والاستغفار، والصبر، والكلمة الطيبة، والإحسان، والصدق، وسائر أنواع الخير والتي من أعظمها ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]. وكل عمل حث عليه الشرع فأفضل العاملين به وأكثرهم أجرًا أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، فأعظم المتصدقين أجرًا أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، وأعظم الصوام أجرًا أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، وأعظم الحجاج أجرًا أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ [٢].

سبحان الله ما أكثر ما نغفل! هذا صائم وهذا صائم، لكن أحدهما مكثرٌ من ذكر الله، فهو أكثر أجرًا، وأنتِ إذا ذكرت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنت صائمة تجدين سهولة في

---

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الوابل الصيب» (٧٥): أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، فأفضل الصوَّام أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، وأفضل الحاج أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ.

الصيام؛ لأن الذكر قوة وعون على العبادة، إذا أكثرت من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنك تشعرين بانشراح الصدر والسعادة، فينبغي أن نسابق إلى ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

شهر رمضان شهر الصبر، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

فشهر رمضان شهر الصبر، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَوْمُ الدَّهْرِ**» رواه الإمام أحمد (٧٥٧٧) عن أبي هريرة، وهو في «الصحيح المسند» (١٣٣٩) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

سمى النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شهر رمضان شهر الصبر، وقد اشتمل الصيام على أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، الصبر عن معصية الله، الصبر على أقدار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهو صبر على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ والصبر عن معصية الله؛ لأن الصائم يجتنب المعاصي ويجتنب المألوفات من الطعام والشراب، فإن الصائم لا يحل له الطعام والشراب أثناء الصوم.

وصبر على أقدار الله؛ فإن الصائم يؤلمه الجوع والعطش، وقد يصاب بالفتور والضعف النفسي، فيحتاج أن يصبر على أقدار الله حتى يمضي في صيامه، ويحفظ صيامَه؛ فإن الصيام يحتاج إلى حفظ عن المعاصي.

اسمعي واصغي حتى ينفعكَ الله؛ فإن العلم ينفع، فأبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» رواه الإمام البخاري (٤٤٢٥). فالعلم النافع ينفع ويضيء لصاحبه، ونحن بحاجة أن نعرف أهمية الصبر في رمضان؛ حتى يَسْلَمَ لنا رمضان من ثلاثة أمور: من البطلان، والنقصان، والإهداء.

الإتيان بالطاعة قد يكون سهلا، ولكن المحافظة على الطاعة أشق، فليس كل من صبر على العمل طوى بساطه وفرغ، قال ابن القيم في «عدة الصابرين»: ليس الشأن الإتيان بالطاعة، إنما الشأن في حفظها مما يبطلها.

وقال أيضًا: فلا يُظن أن بساط الصبر انطوى بالفراغ من العمل.

فالصيام يحتاج إلى محافظة في أثنائه وبعد الفراغ منه، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» رواه البخاري (١٩٠٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**» رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة.

الصائم يحتاج أن يصبِّرَ نفسه على كظم الغيظ، وترك الغضب، يحتاج إلى أن يصبر نفسه على خُلُقِ الحِلْم، إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤]. على سبيل العموم، فكيف برمضان؟ الأمر فيه آكد.

النّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ**» رواه الإمام أحمد (٨٨٥٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وهو في «الصحيح المسند» (١٣٧٢) لوالدي الشيخ مقبل رَحِمَهُٱللَّهُ.

ويقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنِّي صُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَقُمْتُهُ كُلَّهُ**» رواه أبو داود (٢٤١٥) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، وهو في «الصحيح المسند» (١١٧٠) لوالدي رَحِمَهُٱللَّهُ.

نُهِيَ عن هذا القول؛ لأنه قد يكون هناك نقص في الأجر، وللبعد عن التزكية، فهكذا.. هذا أمر شاق، أشق من الصيام عن الطعام والشراب صوم الجوارح، حفظ الجوارح من المعاصي لا سباب، ولا شتام، ولا كذب، ولا فجور، ولا غيبة، ولا نميمة، فعلى الصائم أن يحفظ لسانه، يحفظ بصره، يحفظ سمعه، يحفظ سائر جوارحه، وبهذا يسلم له صيامه إن شاء الله من النقص.

وابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في «زاد المعاد»(١/ ٣٨٦): مَنْ صَحَّ لَهُ يَوْمُ جُمُعَتِهِ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ جُمُعَتِهِ، وَمَنْ صَحَّ لَهُ رَمَضَانُ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ سَنَتِهِ، وَمَنْ صَحَّتْ لَهُ حَجَّتُهُ وَسَلِمَتْ لَهُ، صَحَّ لَهُ سَائِرُ عُمْرِهِ، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ مِيزَانُ الْأُسْبُوعِ، وَرَمَضَانُ مِيزَانُ الْعَامِ، وَالْحَجُّ مِيزَانُ الْعُمْرِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

سبحان الله! رمضان ميزان السنة، والجمعة ميزان الأسبوع، والحج ميزان العمر، فسبحان الله ما أكثر طرق الخير! ثلاثة أعمال مَنْ سلمت له حاز خيرًا عظيمًا:

رمضان، فينبغي أن نحرص على استغلال الخير فيه، وأن نجاهد فيه ونحفظ جوارحنا ونسابق إلى الخير، فإذا وُفِّقنا في رمضان نرجو أن يوفقنا الله في بقية العام. وهو شهر واحد وأيامه قليلة، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]. فلا نستكثر هذه الأيام فهي سرعان ما تنقضي؛ فلهذا الله سبحانه يقول: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، وفيه تذكير لنا أيضًا بسرعة انقضاء العمر، فالعمر ينقضي بسرعة بانقضاء الأيام والليالي، فعلينا أن نستعد للقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والجمعة يوم واحد، وهو أفضل أيام الأسبوع، فإذا سلم لنا نرجو أن يحفظ الله لنا بقية الأسبوع.

وهكذا الحج، «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ**» رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعلى الحاج أن يجاهد فيحفظ لسانه وجوارحه ويسابق إلى الخيرات ويكثر من ذكر الله، لعله يكون حجه مبرورًا فيُحفظ له بقية العمر، ترغيب وتشجيع على المحافظة على العبادة!

وهكذا نحفظ أعمالنا من البطلان: كالرياء، والعجب. لا تُعجَبي بعملك، بصيامك؛ فهذا محبط للعمل، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يذكر «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ،**

وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رواه الإمام مسلم (٢٦٢١) عَنْ جُنْدَبِ بن عبد الله.

«يَتَأَلَّى» أي: يحلف.

وإياكِ إياكِ-يا طالبة العلم-والعجبَ بفهمك، بذكائك، بحفظك، بعلمِك، بعملك، فالعجب مهلكة.

وهكذا الحذر من إهداء العمل للغير، إذا انتهيت من صوم يوم واحد فاحمدي الله عَزَّوَجَلَّ وحافظي عليه، ابقيه لنفسك يوم المعاد، ذلك اليوم الذي نحن في أشد الحاجة فيه إلى الحسنة الواحدة، فلا تهديه لغيرك، نسأل الله العافية من أن نقدِّم حسناتنا لغيرنا كأنها في طبق جاهز، وقد ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه مسلم (٢٥٨١).

تقسَّم حسناتُه لغيره، يا لها من خسارة، نسأل الله أن يحفظ لنا أعمالَنا.

الصائم يحتاج أن يصبر حتى يكون متأسيًا بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، يقول ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ

جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ» رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

فهذا هدي النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الإكثار من العبادة والجود والكرم في رمضان.

ونستفيد من هذا الحديث: مدارسة القرآن في رمضان، أن يقرأ هذا والآخر يستمع له، ثم يقرأ الآخر والأول يستمع له، هذه طريقة، والطريقة الثانية: أن يقرأ أحدهما دون الثاني، فهذه سنة في رمضان.

كما نستفيد منه: الحث على إكمال القرآن في رمضان، فإن هذا من المسابقة إلى الخير.

ونستفيد: أنه لا بأس بالتزاور كلَّ يوم للحاجة والمصلحة ما لم يتأذَّ المزور، فجبريل عليه السلام كان يزور النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن.

ونستفيد كما ذكر الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ لَيْلَ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ نَهَارِهِ.

وَأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ التِّلَاوَةِ الْحُضُورُ وَالْفَهْمُ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ مَظِنَّةُ ذَلِكَ؛ لِمَا فِي النَّهَارِ مِنَ الشَّوَاغِلِ وَالْعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ. اهـ.

يحتاج الصائم إلى صبر على تنظيم وقته تنظيمًا دقيقًا؛ حتى يفوز بخير وفضائل رمضان، وإلا ضاع عليه وذهب سدى، يذهب في النوم الكثير، وفي مألوفات النفس وشهواتها، فلا بد من تنظيم الوقت تنظيمًا دقيقًا.

ففي الليل قيام وعبادة، وينبغي قيام الليل في الثلث الأخير؛ لأن الله سبحانه ينزل في الثلث الأخير إلى سماء الدنيا كل ليلة، ولأن الله سبحانه يقول: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧].

وبعض الناس يقدِّم قيام الليل في أوله، وهذا جائز لكن لا يضيع عليه آخرُ الليل.

فلا نغفل عن آخر الليل في شهر رمضان، ولا نغفل أيضًا عن بكور اليوم، فالقليل من يصبر على البكور؛ لأن أغلب الناس يسهر الليل كله، وبعد صلاة الفجر يتجِّه إلى النوم مباشرة، فينبغي الصبر حتى تطلع الشمس وترتفع قيد رُمْحٍ، ثم يصلي الضحى أو يؤخرها إن كان يستطيع أن يستيقظ الساعة الحادي عشرة أو نحو ذلك، فمن الخسارة أن الصائم يصلي الفجر ثم إلى سريره، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٠٠٠) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والمرأة في أعمالها المنزلية، وخدمة زوجها وأولادها، وصنع طعام الإفطار ينبغي أن تحتسب الأجر من الله؛ لتكون في عبادة.

شهر رمضان موسم من مواسم الخير وفُرصة عظيمة، فينبغي استغلاله بالدعاء والذكر واللجوء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وخاصة وقت الصيام؛ لأن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» رواه ابن ماجة (١٧٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ذكره والدي في «الصحيح المسند» تحت رقم (١٣٥٨).

أيها الأخوات ينبغي أن نحرص على أسباب يسر الصيام وسهولته والنشاط فيه، بالدعاء، والتوبة، والذكر، واجتناب المأكولات التي تجلب العطش كالأطعمة المالحة في الوقت المتأخر، حتى نُقبل على العبادة بنشاط وقوة؛ إذ من الحِكم من فرض صيام هذا الشهر المبارك تحقيق تقوى الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة:١٨٣].

أسأل الله أن يوفقنا لكل خير، اللهم بلغنا رمضان صيامه وقيامه، وبارك لنا فيه، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. والحمد لله رب العالمين.

تم إلقاء هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

ليلة الثلاثاء الموافق ١١/ من شهر شعبان/ لعام ١٤٤٣ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.